

الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إلا شقي» وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبى» قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» ورواه البخاري: ﴿وَسَيَجْزِيهَا آلُفَى﴾ (٧) أي وسيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى، ثم فسر بقوله: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (٨) أي يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله، وما وهبه الله من دين ودنيا ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ (٩) أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفًا، فهو يعطي في مقابلة ذلك، وإنما دفعه ذلك ﴿إِنِّيَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْآخِلَى﴾ (١٠) أي طمعًا في أن يحصل رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات، قال الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (١١) أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات. وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعت خزنة الجنة: يا عبد الله هذا خير» فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما على من يدعي منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم».

تفسير سُورَةُ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)

روى الإمام أحمد عن جندب يقول: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأنت امرأة فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل عز وجل: ﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير. وهذا قسم منه تعالى بالضحى، وما جعل فيه من الضياء ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ (٢) أي سكن فأظلم وادلهم ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ (٣) أي ما تركك، ﴿وَمَا قَلَى﴾ أي وما أبغضك.

﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَزَاوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْزَأْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ (٤) أي وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول

الله ﷺ أزهّد الناس في الدنيا، وأعظمهم لها اطراحاً، كما هو معلوم بالضرورة من سيرته، ولما خير عليه الصلاة والسلام في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها، ثم الجنة، وبين الصيرورة إلى الله عز وجل اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية، روى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال: اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح بجنبه، وقلت: يا رسول الله، ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة، ثم راح وتركها» ورواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح. وقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ أي في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته، وفيما أعده له من الكرامة، ومن جملة نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، وطينه مسك أذفر، ثم قال تعالى يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَكَأْوًى﴾ وذلك أن أباه توفي، وهو حمل في بطن أمه، ثم توفيت أمه بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي، وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره، ويرفع من قدره ويوقره، ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم فاختر الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل، فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضي الله عنهم أجمعين، وكل هذا من حفظ الله له وكلماته وعنايته به. وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: 52] وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ أي كنت فقيراً ذا عيال فأغناك الله عمن سواه فجمع الله له بين مقام الفقير الصابر والغني الشاكر، صلوات الله وسلامه عليه. وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس» وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه» ثم قال تعالى: ﴿قَالِمًا أَلِيمًا فَلَا تَهَنَّتْ﴾ أي كما كنت يتيماً فأواك فلا تهقر اليتيم، أي لا تذله وتهنره وتهنه، ولكن أحسن إليه، وتلطف به ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أي وكما كنت ضالاً فهداك الله فلا تنهر السائل في العلم المسترشد، ولا تكن جباراً ولا متكبراً ولا فحاشاً، ولا فظاً على الضعفاء من عباد الله ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أي وكما كنت عائلاً فقيراً فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك.